بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات بجامعة أصفهان

العدد ٢٤ (ربيع وصيف ١٤٤٢هـ / ١٤٠٠هـ.ش)، ص ١٢٧ ـ ١٣٨

المقالة: محكمة

أبنية الزمن ودلالتها في اللغة العربية

دراسة في الزمن اللغوي والتقويمي والفلسفي[١]

سعدى رمضانى *

سميه حسنعليان **

الملخّص

للزمن مكانة كبيرة في نحو اللغات قديما وحديثا. ولكل لغة نظام زمني خاص يعين مدى إدراك الناطقين بها، لأهمية الزمن الذي يشكل جزءا من المعنى. الزمن ظاهرة فيزيائية ومجسمة من ظواهر الكون تستخدم كأصول كمية لمحاسبة كثير من الظواهر، وهي تقاس بأبعاد ووحدات قياسية معينة، كالدقيقة، والساعة، واليوم، والشهر، والسنة، وما إلى ذلك. ولكن عندما نتحدث عن الزمن في اللغة، نواجه ظاهرة نفسية تختلف عن الزمن الكمي تماما. في هذه الحالة، يرتبط الزمن بمقولات كيفية وقوع الأحداث في العالم الخارجي. ومن هذا المنظر، ليس الزمن أمرا فيزيائيا وعينيا، بل هو ظاهرة خيالية وانتزاعية متأثرة بالأحداث الخارجية. يهدف هذا البحث مرتكزا على المنهج الوصفي ـ التحليلي، إلى توصيف نظام الزمن اللغوي وتبيين علاقته بالصيغ والتراكيب التي يعبر بها عن الزمن في اللغة العربية وبيان الفرق بين ما تدل عليه ظروف الزمان والمصادر والصفات بأنواعها وبين الزمن الذي للفعل، وفضلا عن هذا، معالجة الجمل والأفعال التي لا تحمل شيئا من مفهوم الزمن في الكلام؛ وكذلك بيان الخلافات القائمة بين الزمن اللغوي والزمن الفلسفي والزمن الفلكي أو التقويمي. يحاول البحث دراسة موضوع الزمن في العربية مبينا مفهوم الزمن والزمان عند النحاة القدامى والمحدثين. والزمان اسم لقليل الوقت أو كثيره ولا يرتبط بالحدث أبدا، يقابله في اللغة الإنجليزية (time)؛ وهذا ما نسميه الزمن التقويمي؛ والزمن تعبير لغوي يتجلى في الأفعال خاصة، وله صلة وثيقة بالحدث، ويسميه النحاة الزمن اللغوي. ليس الزمان هو الصورة الفريدة المقصودة من الفعل دائما؛ والفعل قد يدل على محض تمام الحدث أو عدم تمامه، بغض النظر عن إرادة الوقت الذي وقع فيه. تختلف الصيغ والتراكيب في دلالتها عن الزمن في اللغة العربية؛ فإن دلت كلمة بالمطابقة على الزمن فقط، فهي ظرف؛ بعبارة أخرى، الزمن يستفاد من الظرف بالمطابقة ومن الفعل بالتضمن.

الكلمات المفتاحية: الزمن اللغوي، الزمن الفلسفي، الزمن التقويمي، اللغة العربية

١ــ تاريخ التسلم: ١٣٩٧/٨/٨هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٨/١١/١٤هـ.ش.

* طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران Email: sadiramezani@yahoo.com

** أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران (الكاتبة المسؤولة) Email: shassanalian@yahoo.com

Copyright©2021, University of Isfahan. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License (http://creativecommons.org/licenses/BY-NC-ND/4.0), which permits others to download this work and share it with others as long as they credit it, but they cannot change it in any way or use it commercially

HTTP://DX.DOI.ORG/10.22108/RALL.2020.113519.1173

١. المقدمة

اللغة وسيلة لإدراك ومعرفة ما حول البشر من ظواهر الكون. ومن هذه الظواهر حركة الزمان التي يدركها ويعبر عنها البشر بألفاظ اللغة. ولكل لغة أسلوبها في تحديد الزمن. لقد تناول النحاة العرب هذه الظاهرة قديما وحديثا وعالجوها، ولكن كانت دراساتهم للزمن قاصرة لم تكشف عن إمكانات العربية جميعها في التعبير عن الزمن؛ لأنهم تطرقوا إلى دراسته عبر دراستهم للصيغ والتراكيب، وربما كانت غاية دراستهم للزمن عثورا على تعريف جامع للفعل، يميزه عن الاسم والحرف.

و«يعتبر الزمن من أكثر الظواهر اللغوية تعقيدا وأكثرها استعصاء وانفلاتا من الحصر والتحديد. وكلما تعمقنا في دراسة البنية الزمنية للغات الطبيعية إلا واكتشفنا أن العناصر المشكلة لمحتواها التمثيلي غير متجانسة، تتداخل فيها مكونات ذات طبيعة زمنية مثل: الجهة والوجه. وما من ظاهرة من ظواهر اللغة إلا وتحمل بعدا زمنيا. فالزمن يوجد في كل البنيات التركيبية التي تولدها الملكة اللغوية البشرية» (الملاخ، ٢٠٠٩م، ص ٢٠ ـ ٢١).

و«الزمن واحد من تلك الموضوعات التي أوسعها النحاة بحثا وتقصيا، ثم تركوها حيثما وردت. لقد قال النحاة في الزمن الشيء الكثير، وكان بإمكانهم أن يخرجوا من ذلك بقواعد ثابتة، ولكن حديثهم عن الزمن لم يكن لذاته، ولا بالهيئة التي تستوجبها أهميته في الدرس اللغوي» (رشيد، ٢٠٠٨م، ص ٨).

١ـ١. ضرورة البحث

إن الزمن يدخل في مقولات لغوية ونحوية متعددة في أية لغة، وهو سبب رئيس في التكوين اللغوي. والتقسيم الثلاثي للكلام يكون ناتجا عن فكرة الزمن. واختلاف النحاة في تصنيف بعض الكلمات يكمن في كثير من الحالات بواسطة الزمن. بما أن الزمن النحوي والزمن الفلسفي لم يتبين اختلافهما من قبل النحاة في كتبهم النحوية ولم يتعين الفرق بين ما تدل عليه ظروف الزمان وبين الزمان الذي للفعل، ومن جانب آخر هناك كثيرون لايزالون يخلطون بين هذه المفاهيم، فحاول البحث ـ بجانب إشارته إلى الجمل والأفعال التي لا تدل على الزمن في اللغة أبدا ـ أن يعالج مفهوم الزمن النحوي والزمن الفلسفي والزمن التقويمي لتبيين مدى العلاقة بين هذه الأزمنة ويتناول الفرق بين الزمان الذي تدل عليه الظروف والزمان الذي يدل عليه الفعل والصفات بأنواعها.

١ـ٢. أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

ـ ما الفرق بين الزمن اللغوي والزمن التقويمي والزمن الفلسفي؟

ـ ما الفرق بين الزمن الذي يدل عليه الفعل والزمن الذي تدل عليه الظروف والصفات؟

ـ هل يحمل كل فعل من الأفعال مفهوم الزمن بجانب دلالته على الحدث، كما يقوله النحاة؟

١ـ٣. منهج البحث

منهج البحث في هذه الدراسة وصفي ـ تحليلي، بحيث حاول أن يعالج الكتب النحوية المختلفة القديمة والجديدة والرسالات والمقالات التي قد كتبت في حقل الزمن في اللغة العربية.

١ـ٤. خلفية البحث

نظرا إلى دور الزمن ومدى أهميته في الدراسات اللغوية والتحليل النحوي، فقد كتبت كتب متعددة ودراسات عديدة في هذا المجال، نذكرها فيما يلي:

دراسة *الزمن النحوي في اللغة العربية*، لكمال رشيد (٢٠٠٨م). تطرقت الدراسة إلى أهمية الزمن اللغوي ودوره في اللغة العربية ومكانته عند علماء النحو القدامى وناقشت الدلالة الزمنية لكل فعل وما يحمل دلالة زمنية، مثل: الصفة بأنواعها من اسم الفاعل، واسم المفعول، والصيغة المبالغة، والمصدر، دون أن تقوم بمقارنتها في الفارسية أو لغة أخرى، نحو: الإنجليزية أو الفرنسية.

ودراسة *اللغة العربية معناها ومبناها*، لتمام حسان (١٩٩٤م). قام المؤلف فيها بموضوعات شتى، منها اللغة والكلام وتناول طابع كل منهما، وكذلك تطرق إلى آراء سيبويه والنحاة المحدثين بالنسبة للحروف التهجي والنطق والكتابة.

وكتاب *اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية*، ألفه محمد عبد الرحمن الريحاني (١٩٩٦م)، وصنّفه في بابين يعالج فيه الصيغ والتراكيب الزمنية في التراث النحوي.

ودراسة *الزمان الدلالي: دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية* لكريم زكي حسام الدين (٢٠٠٢م). فعالج الباحث ثنائية المكان والزمان؛ لأن المكان هو الذي يساهم في تحديد هوية الزمان. بتعبير آخر، المكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزمن، والزمان هو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن؛ وكذلك تحدث عن مفهوم وعائية الزمان عند الجماعة العربية الأولى التي قد أدركت أن كل ما في الكون تندرج في إطار الزمان، بل إن حياة الإنسان نفسه ونموّه الجسمي والنفسي يتزمن في أطوار مختلفة تعبر عنها ألفاظ مثل وليد ورضيع وطفل وصبي ومراهق.

وكتاب *الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية*، لمحمد الملاخ (٢٠٠٩م). تطرقت الدراسة إلى النظام الزمني والبنية الزمنية والجهية في اللغة العربية وإستراتيجية بناء السلاسل الزمنية، والسلاسل الزمنية البسيطة منها والسلاسل الزمنية المركبة؛ وكذلك عالجت مظاهر الزمن المختلفة، منها المظهر الصرفي، والدلالي، والتركيبي، والتداولي، والعلاقات القائمة بينها ومدى تفاعل هذه المظاهر.

ودراسة *الزمن واللغة*، لمالك يوسف المطلبي (١٩٨٦م). فتحدث فيها المؤلف عن الزمن الصرفي في صيغ "فعلَ" و"يفعلُ" و"الأمر" في زمني الماضي والحال والاستقبال، وكذلك الصيغ المركبة، نحو "كان يفعل" و"كان قد فعل"، وسلّط الضوء على العلاقة بين الزمن والإعراب، أي إعراب الفعل المضارع ودلالته الزمنية، وبذلك أدرج في طياته دلالة صيغة "فعلَ" الزمنية مجردة خارج السياق ومستعملة داخل السياق.

ودراسة *دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزمني للأفعال*، لعبد المجيد جحفة (٢٠٠٦م). تعرّض المؤلف فيها لموضوعات شتى، منها الإحالة الزمنية، والزمن الدلالي والزمن اللغوي، والفعل والزمن، واسم الفاعل والزمن وفعل الأمر والزمن.

وكتاب *الفعل زمانه وأبنيته*، لإبراهيم السامرائي (١٩٨٣م). قد تناول فيه المؤلف مادة الفعل في اللغة العربية ومكانته في الكلام وأقسامه المتمثلة في الثلاثي والرباعي ودلالته الزمنية، وكذلك ذكر آراء النحاة البصريين والكوفيين في كافة مجالات النحو، وخاصة في مجال تعريف الفعل وأقسامه الثلاثة، منهم سيبويه والزجاجي والزمخشري.

أما من الرسالات والمقالات التي نشرت في هذا المجال فيمكن أن نشير إلى ما يلي:

رسالة *ألفاظ الزمن في ديوان محمد العيد آل خليفة: دراسة معجمية دلالية*، لحمزاوي حياة (٢٠١٥م). توصلت الرسالة إلى أن للقرائن دورا هاما في تحدد الدلالة الزمنية لصيغ المختلفة، كالحروف والنواسخ والسوابق واللواحق التي تلحق صيغة ما وتغير دلالتها الزمنية وتخلصها لزمن معين.

ورسالة *ألفاظ الزمن في القرآن الكريم: دراسة نحوية*، لتماضر قائد راضي الحاتمي (٢٠٠٤م)؛ ومن أهم نتائجها هي أنه لا فرق بين الزمان والزمن، وهما اسمان لقليل الوقت وكثيره، واختلافهما يرجع إلى اللفظ دون المعنى.

ومقالة *مفهوم الزمن النحوي ودلالته بين القديم والحديث*، لأحمد مجتبى السيد محمد (٢٠١٥م). ومن أبرز نتائج حصل عليها الباحث هي أن اللغة العربية قادرة على التعبير عن الزمن بكل ما فيه من الاسم والفعل وذلك حسب السياق؛ فالأفعال يمكن أن تتبادل أزمنتها وفقا للسياق فيعبر الماضي عن الحاضر والمستقبل والحاضر عن الماضي والمستقبل، وكل ذلك يحدث من خلال السياق ولا من خلال الصيغة الصرفية المفردة.

وكذلك رسالة *الزمن النحوي ودلالته: دراسة تطبيقية في ديوان أبي فراس الحمداني*، لأسمهان ميزاب، (٢٠١٤م). عالجت الباحثة الزمن اللغوي بنوعيه الصرفي والنحوي.

أيا يكن الأمر، فهذه الدراسات لم تتناول الزمن بأقسامه الثلاثة الصرفي والنحوي والسياقي، وكذلك لم تتطرق إلى الفوارق الموجودة بين هذه الأزمنة. إذن من ميزات هذه الدراسة هو بيان الخلافات القائمة بين الزمن اللغوي بقسميه المعروفين الصرفي والنحوي، والزمن التقويمي والزمن الفلسفي، وكذلك تبيين الفروق بين الزمن الموجود في الأفعال والصفات والزمن الذي تدل عليه الظروف؛ علاوة على هذا، يعالج البحث الجمل والأفعال الموجودة في اللغة التي لا تدل على الزمن كما أن علماء النحو يشيرون إليه في تعريفهم للفعل.

٢ـ مفهوم الزمن

الزمن وكيفية تفهيمه في اللغة من الموضوعات الرائعة التي أوضحت مدارس علم اللغة أبعادها المختلفة، وهو مفهوم انتزاعي يستفاد من المفاهيم المحسوسة، مثل المكان والحركة لدراسته وفهمه أن فهمنا عن الزمن ناتج عن تجاربنا ووقوفنا على الحركات والتغييرات السائدة على البيئة.

و«الزمن مقولة لغوية تسهم في بناء البنيات اللغوية. هذه المقولة مقولة فعلية بامتياز، رغم أنها ترتبط بمقولات أخرى، مثل الظروف على اختلاف أنواعها، إلا أن الزمن المرتبط بالأفعال ليس من طبيعة الزمن المرتبط بالظروف. فهو في الأولى مقولة لبناء الجملة، (أي مقولة تركيبية)؛ وفي الثانية مقولة معجمية؛ إذ يكون الزمن جزءا من دلالة الظرف المعجمية» (جحفة، ٢٠٠٦م، ص٢٥).

يرى معظم النحاة القدامى أن الزمن والزمان شيء واحد، وهما مصطلحان مرادفان. لقد ورد في كتاب *العين* «أن الزمن من الزمان، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان» (١٤١٤هـ، ج ١٣، ص ٣٥٧). لقد عرفه الجوهري بقوله: «الزمن والزمان اسم لقليل الوقت أو كثيره، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن، ولقيته ذات الزمين تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال لقيته ذات العويم، أي بين الأعوام» (١٩٩٠م، ج ١، ص١٣٧).

أما ابن منظور فيقول: «الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم الزمن والزمان العصر» (۱۳۴۸ه، ج ۲۰، ص ۸۶). في حين، يرى المحدثون من النحاة واللغويين أن النحاة القدماء قد خلطوا بين هذين المصطلحين، وهما ليسا مرادفين، فالزمن تعبير لغوي والزمان مصطلح فلسفي.

وكلمة الزمن تقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة (tense)، وليست مرادفة لكلمة الزمان التي تعادل كلمة (time)، في اللغة الإنجليزية. والزمن يدل على مقولة نحوية تستخدم الفعل أو ما بمعنى الفعل، للتعبير عن وقوع الحدث في زمان معين. أما الزمان فهو بيان للوقت، ويدخل في دائرة المقاييس ولا صلة له بالأحداث؛ وهذا ما نسميه الزمن التقويمي أو الزمن الفلكي.

«أما الزمن الفلكي، فهو آلة قياس الإنسان الأحداث والخبرات، كما المسطرة آلة قياس المسافة أو المكان؛ أو هو ذلك القسم من الوجود الذي يخضع للزمان ويجري فيه كأحداث الطبيعة والتاريخ. لهذا لا بد لنا من تجسيم هذا الزمن أو تأطيره ليكون محسوسا، فنحن مضطرون لنربط أعمارنا بالساعة؛ لأننا مغرقون في دوام المادة، والساعة تقيس أحد ابعاد هذه المادة» (المطلبي، ۱۹۸۶م، ص۱۳).

فضلا عن الزمنين، هناك نوع آخر من الزمن يختلف عن كليهما، وهو الزمن الفلسفي. ومن ميزاته عدم وجود مستقل وقائم بالذات له، بل وجوده ضعيف وملازم للعدم، بحيث فور حدوثه ينعدم؛ لأن وجوده رهين بوجود الأشياء المادية والمحسوسة. وكذلك لا يضاف شيء إلى وجود الأشياء المادية لأجل وجود هذا النوع من الزمن.

«وعلى هذا، فإن كلا الزمنين الفلسفي والفلكي زمن موضوعي، أي مستقل عن خبراتنا الشخصية، غير أن جوهر افتراقهما يكمن في كون ما سمي بالزمن الفلسفي نظرا في الزمن والزمن الفلكي هو الزمن ذاته. وعلى هذا، فإن أبعاد الزمن الفلسفي غير محددة بالوجود المادي، على العكس من الزمن الفلكي الذي هو سجل طويل يمتد إلى أعماق سحيقة في الوجود المكتشف» (المصدر نفسه).

۳. الزمن من وجهة نظر النحويين واللغويين

۳ـ۱. الزمن من وجهة نظر النحاة القدامى

«كان الزمن واحدا من تلك الموضوعات التي أوسعها النحاة القدامى بحثا وتقصيا ثم تركوها حيثما وردت، فالزمن لم يقع في باب أو في عنوان مستقل في كتب النحو القديمة، وإنما هي شذرات وإشارات هنا وهناك ينقصها الرصد والتحليل والاستنتاج» (رشيد، ۲۰۰۸م، ص ۸).

بما أن للفعل دورا مهما في نحو اللغات كلها، وخاصة في اللغة العربية، فالزمان جزء لا يتجزأ من أجزائه، بحيث اعتبره النحاة من مقومات الفعل. وأحد الأزمنة التي نقوم بدراسته في بحثنا هذا، يتجلى في الفعل خاصة؛ لهذا جدير بنا أن نتناول تعريف النحاة للفعل أثناء دراستنا للزمن.

لقد «عرف النحاة الفعل بأنه ما دل على حدث وزمن. ودلالته على الحدث تأتي عن اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة. والمعروف أن المصدر اسم الحدث، فما شاركه في مادة اشتقاقه كالفعل والصفة والميميات، لا بد أن يكون على صلة من نوع ما بمعنى الحدث كالدلالة على اقتران الحدث بالزمان أو على موصوف بالحدث أو على مكان الحدث أو زمانه أو آلته» (حسان، ۱۹۹۴م، ص ۱۰۴).

مما يهمنا في هذا المقام أن تعريف النحاة هذا للفعل لا يحتوي على الأفعال والجملات كلها. فلا نحتاج في كثير من الأحيان في بناء جملةٍ ما إلى المفهوم الدلالي الزمني، مثل الزمن الذي نريد إثبات الحدث إلى الموصوف. لهذا من العسير أن نطلب من كل تركيب مقرون بالحدث، المعنى الزمني.

من جانب آخر، أن قسما من الأفعال مثل: "كان" الناقصة وأخواتها، لا يدل على حدث البتة. والفعل المضارع أيضا لا يعرب عن الزمن، إذا أريد به التعبير عن حقيقة. والجملة الاسمية في اللغة العربية لا تحتوي على الزمن، فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند، ولا تشير إلى حدث، ولا إلى زمن.

«لقد اهتم النحاة القدماء بمسألة الفعل في مباحثهم النحوية، كما اهتم في الموضوع نفسه المحدثون في دراساتهم الحديثة. الاهتمام بالفعل يشغل مكانا مهما في سائر اللغات. وقد كان اهتمام الأقدمين بهذه المادة غيره عند المعاصرين. كان الأقدمون يرون أن الفعل صاحب العمل، وهو عامل قوي، بل هو أقوى العوامل، فهو يرفع فاعلا وينصب مفعولا كما ينصب سائر ما أسموه بالفضلات، كالمفاعيل، والحال، ونحو ذلك، وأنه يعمل أينما متقدما أم متأخرا ظاهرا أم مقدرا» (السامرائي، ١٩٨٣م، ص ١٥).

والفعل عند سيبويه «أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فـ"ذهب"، و"سمع"، و"مكث"، و"حمد"؛ وأما بناء لم يقع فإنه قولك آمرا: "اذهب"، و"اقتل"، و"اضرب"، ومخبرا: كـ"يقتل"، و"يذهب"، و"يضرب"، وكذلك بناء ما لم ينقطع، وهو كائن» (١٩٨٨م، ص ١٢). ويقول الزجاجي:

> الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا: ماض ومستقبل. والمستقبل ما لم يقع بعد، ولا أتى عليه زمان ولا خرج من العدم إلى الوجود، والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمنان لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبر فيه عنه، فأما فعل الحال فهو المتكون في حال الخطاب المتكلم، لم يخرج إلى حيز المضي والانقطاع (١٩٧٩م، ص ٨٦ ـ ٨٧).

«لقد لاحظ النحاة مثال الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، والسيرافي (ت ٣٦٨هـ)، وغيرهما أن مضي الأحداث أو حضورها أو استقبالها بالنسبة للفاعل إنما لا يقاس إلا عن طريق المتكلم، ويمكن أن نمثل رؤيتهم بالخط المستقيم، هكذا الماضي الحاضر المستقبل، حيث يقف المتكلم في لحظة الآن في منتصف الخط، بينما ما سبقه مضي وما لم يأت فهو مستقبل، وهي أزمنة مطلقة بلا مدى. لكن مثل هذه النظرة إلى الصيغ مع الزمن: إنما نتحدث عن مطلق الزمان في الدلالة، فالماضي بالنسبة للمتكلم حدث وقع يخبر عنه المتكلم الآن، والحاضر حدث يوصف وقت كلام المتحدث، والمستقبل حدث سوف يقع بعد كلام المتحدث الآن، وهذا هو معيار الزمان» (الريحاني، ١٩٨٣م، ص ٢١).

و«الزمان في الأفعال ملحوظ ودلالتها على الزمان من مقوماتها، ولكن الزمان فيها زمان نحوي وظيفته التفريق بين أبنية الأفعال، لا دلالة على حركات الفلك من مضي وحضور واستقبال» (المخزومي، ١٩٨٦م، ص ١١٥).

٣ـ٢. الزمن من وجهة نظر اللغويين المحدثين

ربما نستطيع أن نعتبر الدراسات المنطقية لريشنباخ[1]، ١٩٤٧م في مجال الزمن النحوي نقطة منطلق للاتجاهات المعاصرة إلى الزمن. وإن قد تحققت الدراسات المسهبة والتطورات المرموقة في هذا المجال، إلا أن المصطلاحات والتعبيرات الدلالية له لاتزال تسترعي انتباه الباحثين في مجال الزمن النحوي.

1 .Reichenbach

يهتم هذا الباحث بثلاثة عناصر هامة في مجال دراسة ماهية الزمن اللغوي، يقول: البنية الداخلية للزمن يتكون من ثلاثة عناصر: زمن الحدث، وزمن التلفظ، وزمن الإحالة. ويذهب إلى أن العلاقات القائمة الموجودة بين هذه العناصر تشكل الماهية النحوية للجملات في أي لغة كانت، ثم يقول: العنصر الأول من هذه العناصر يشير إلى لحظة وقوع الحدث؛ والعنصر الثاني يلمح إلى لحظة التلفظ؛ وبما أن لحظة التلفظ تحدث في الحال، فهذا الزمن يتعلق بالحال دائما؛ بعبارة أخرى، هذا الزمن يأخذ هويته من نسيج الكلام؛ وأما العنصر الثالث فيتعلق بزمن غير زمن التلفظ وزمن الحدث يتحدد بواسطته (ویسی‌حصار، ۱۳۹۴هـ.ش، ص ۱۱۶).

و«تفيد الجمل أحداثا ويتم تقييم الأحداث في الجمل بالنظر إلى زمن مخصوص، ويحدد الزمن هذا الحدث عموما من خلال علاقته بلحظة تلفظنا بالجملة. لننظر الجمل التالية:

أ: "كتب الطفل رسالة"؛

ب: "يكتب الطفل رسالة"؛

ج: "سيكتب الطفل رسالة".

في جملة (أ)، تموقع حدث الكتابة في الماضي بالنظر إلى لحظة التلفظ، خلافا لجملة (ب) التي تموقع الحدث باعتباره مواقتا لزمن التلفظ بالجملة؛ أما جملة (ج) فتموقع الحدث في المستقبل بالنظر إلى لحظة التلفظ أو لحظة الإخبار. ففي كل جملة من هذه الجمل، نجد تخصيصا زمنيا للحدث بالنظر إلى لحظة التلفظ. لنسم هذا التخصيص الزمني للحدث "ح"، ولنسم لحظة التلفظ "ظ". يقول الزمن الماضي: إن "ح" قبل "ظ"، ويقول الحاضر: إن "ح" في "ظ"، ويقول المستقبل: إن "ح" بعد "ظ"» (جحفة، ۲۰۰۶م، ص ۱۰۵). «عولج الزمن تقليديا باعتباره يقيم علاقة ترتيب بين نقطتين زمنيتين، إنه يربط بين من التلفظ "ظ" والزمن الذي يحصل فيه الحدث "ح"، وبذلك فالماضي يرتب "ح" قبل "ظ"؛ أما المستقبل فيرتب "ح" بعد "ظ"» (المصدر نفسه).

۴. الزمن اللغوي

مفهوم الزمن اللغوي بعيد عن مفاهيم الزمن الفلسفي والزمن الفلكي كل البعد؛ «إذ الزمن اللغوي لا يعتمد على العد والقياس، ولا على المعاني المعجمية، ولا على الإدراك والإحساس، إنما يعتمد على التراكيب اللغوي على الجملة المكتوبة أو المنطوقة، وما فيها من صيغ فعلية وأدوات وحروف ونواسخ؛ وقد يكون هذا الزمن اللغوي زمن فعل مفرد، وقد يكون زمن جملة تامة» (رشيد، ۲۰۰۸م، ص ۱۲). و«فقد عرفه لغويون عديدون، منهم بلارمان[1]، فقال: إنه فصيلة نحوية تنتمي إلى الأفعال عادة، تشير إلى الوقت لأي حادثة مع علاقتها مع لحظة الحاضر أو أي نقطة إشارية أخرى» (قواقزة، ۲۰۰۹م، ص ۱۴).

۴ـ۱. أقسام الزمن اللغوي

الزمن اللغوي ينقسم إلى القسمين: الزمن الصرفي، والزمن النحوي. الزمن الصرفي هو وظيفة الصيغة خارج السياق مجردة. «معنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة» (حسان، ۱۹۹۴م، ص ۱۰۵). و«الحديث عن الزمن الصرفي هو الحديث عن الزمن في الفعل المستقل خارج السياق؛ وقد بينا أن الفعل هو الوحيد من بين

1 .Belarman

أقسام الكلام الذي يستطيع منفردا أن يدل على الزمن، أما داخل السياق فقد ينافسه المصدر أو الصفة وعندئذ يكون الزمن للجملة كاملة ونسميه زمنا نحويا» (رشيد، ٢٠٠٨م، ص ٢٤).

وأما الزمن النحوي فهو وظيفة في السياق ويأخذ هويته من نسيج الكلام. «أما الزمن النحوي فهو وظيفة في السياق يؤديها الفعل؛ لأن السياق يحمل من القرائن اللفظية الحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود، وقد استعمل النحاة الزمان أيضا للتفريق بين الفعل والاسم؛ لأن الاسم يدل على حدث فقط» (الحاتمي، ٢٠٠٤م، ص ١٥).

«يقول الدكتور مهدي المخزومي: لم ينجحوا النحاة القدماء في تصور أن الزمن اللغوي ليس كالزمن الفلسفي. ويقول الدكتور تمام حسن: ينبغي أن نفرق بين الزمن النحوي والزمان، بأنه صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط ارتباطا كليا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم» (المطلبي، ١٩٨٦م، ص ١٠).

شأن اللغة العربية كشأن اللغات الأخرى في أنها لا تقتصر في تعبيرها عن الزمن بالفعل، بل تتعداه إلى بعض الصيغ والتراكيب، فضلا عن تعبيرها بواسطة الأفعال، فيعبر عن الزمن بالصيغ والتراكيب المتعددة في العربية، منها الظروف والصفات. وهناك فرق بين الزمن الذي يدل عليه الفعل وبين ما تدل عليه الظروف والصفات بأنواعها.

وعلينا أن نميز بين الدلالات الزمنية لهذه الصيغ والتراكيب والدلالة الزمنية للأفعال؛ لأننا حينما نتحدث عن الزمن في اللغة، نقصد الزمن الذي يتجلى في الأفعال ليس غيره؛ لأن الزمن الذي يقترن مع الحدث ويدل على وقوع الحدث في زمان ما يعادل الزمن اللغوي، وهذا ما يقابله في اللغة الإنجليزية (tense).

تحدثنا عن الأفعال ودلالتها الزمنية في ما مضى. وأما الصفات التي تدل على الزمن فخمسة، وهي صفة الفاعل، وصفة المفعول، وصفة المشبهة، وصفة المبالغة، وصفة التفضيل. وكل هذه الصفات تختلف عن غيرها مبنى ومعنى. «أما من حيث المبنى، فلكل صفة منها صيغ خاصة بها؛ وأما من حيث المعنى فصفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعا متجددا؛ وصفة المفعول تدل على وصف المفعول بالحدث كذلك على سبيل الانقطاع والتجدد؛ وصفة المبالغة تدل على وصف الفاعل بالحدث على الطريق المبالغة؛ وصفة المشبهة تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت؛ وصفة التفضيل تدل على وصفه به أيضا على سبيل تفضيله على غيره، ممن يتصف بالحدث على طريقة أي من الصفات السابقة» (حسان، ١٩٩٤م، ص ١٠٠).

الصفة من حيث الدلالة على الحدث والزمن تختلف عن بقية أقسام الكلم جميعها. أما بالنسبة إلى دلالتها على الحدث فإنها تدل على الموصوف بالحدث ولا تدل على الحدث وحده ما يدل المصدر، ولا على اقتران الحدث والزمن كالأفعال، ولا على مطلق مسمى كالأسماء. وأما في مجال دلالتها على الزمن، فالصفات لا تدل كالأفعال دلالة صرفية خارج السياق، وإنما تأخذ معنى الزمن النحوي في السياق.

في الواقع لا تتصل الصفة بمعنى الزمن إلا من خلال علاقات السياق، إذن دلالة الصفة على الزمن وظيفة السياق لا وظيفة الصفة. «إن زمن الفعل يكون صرفيا في الإفراد ونحويا في السياق، ولكن ما ينسب إلى الصفة من معنى الزمن لا يمكن أن ينسب إليها مفردة خارج السياق، وإنما يكون الزمن وظيفة للصفة في السياق فقط، أي زمن الصفة نحوي ولا يكون صرفيا أبدا. وبهذا تمتاز الصفة بقبولها معنى الزمن عن الأسماء. فالزمن ليس جزءا من معنى الأسماء وتمتاز برفضها أن تدل عليه (على الزمن) بصيغتها الصرفية عن الأفعال التي تعتبر الزمن جزءا من معناها على جميع المستويات» (حسان، ١٩٩٤م، ص ١٠٣).

وأما القسم الآخر من أقسام الكلم التي تدل على الزمن في اللغة العربية فهو الظروف. «في إطار الحديث عن الزمن، يمكن التمييز بين نوعين من دلالات الظروف على الزمن؛ أما النوع الأول فذلك الذي يظهر الظرف فيه مؤكدا زمنيا، بحيث يكون وجوده المؤثر على زمن السياق تاليا لوجود قرائن أخرى أكثر فاعلية توجه الزمن فيه، فيؤكد الظرف هذا الزمن؛ وهي على شكلين: الظروف المرشحة، والظروف ذاتية الزمن؛ الشكل الأول، نحو: "أتيتك أمس"، و"سآتيك غدا"، وهو في هذا يعد الظرف مؤكدا زمنيا؛ أما الشكل الثاني من الظروف المؤكدة فهي تلك التي ليس لها علاقة مباشرة بزمن الفعل، بل إنها قد تظهر مع أي شكل من أشكاله الماضية والمضارعة والأمرية، ولكنها ليست كالأمثلة الأولى التي تملك صياغة زمنية بنفسها، دون أن ترشح زمنا في الفعل، ولكن هذه ترشح زمنا في ذاتها، وعند سيبويه أمثلة كثيرة على هذا النمط متنوعة بتنوع ظروفه، نحو: "سير عليه طورين"، و"ضرب به ضربتين"، و"سير عليه الليل والنهار"؛ أما النوع الثاني فيكون صانعا للزمن في السياق يؤكد وظيفة أساسية في الدلالة عليه» (الشريدة، ٢٠٠٢م، ص ٥٢ـ٥٣). يقول تمام حسان:

> الظروف مبان تقع في نطاق المبنيات غير المتصرفة، فتتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات، ويمكن التمثيل لها على النحو الآتي: ظرف زمان، وهي "إذ"، و"لما"، أي أن، وظروف مكان، هي "أين"، "أنّى"، "حيث". ولكن النحاة رأوا بعض الكلمات تستعمل استعمال الظروف، فعدوا طائفة عظيمة من الكلمات المستعملة استعمال الظروف ظروفا. قد نسبها النحاة إلى الظرفية، وما هي بظروف من حيث التقسيم. ومن ذلك، المصادر، صيغتا اسمي الزمان والمكان، بعض حروف الجر، نحو: "مذ"، و"منذ"، عندما يردان مع الجمل فتكون الظرفية فيهما من قبيل تعدد المعنى الوظيفي، بعض ضمائر الإشارة إلى المكان، نحو: "هنا"، و"ثم"، وإلى الزمان، نحو: "الآن"، و"أمس"، وهي ليست ظروفا في الأصل، بعض الأسماء المبهمة، ومنها ما دل على مبهم من المقادير، نحو: "كم"، ما دل على مبهم من العدد حين يميزه ما يفيد الزمان أو المكان، نحو: "خمسة أيام"، و"ثلاث ليال" (١٩٩٤م، ص ١٢٠).

أما في مجال دلالة الظروف على الزمان فيمكن أن نقول إن الزمان كل معنى الظروف؛ وإذا أخذنا معنى الزمان من الظرف لا يبقى منه شيء؛ لأن الظروف لا تدل على مفهوم آخر بجانب دلالته على الزمان والكلمات المستعملة لإفادة الزمان المجرد لا تحمل مدلولا غير الزمان، ولأن الزمن يستفاد من الظروف بالمطابقة خلافا للفعل الذي يدل على الزمن بالتضمن بجانب دلالته على الحدث.

بعبارة أخرى، الزمن كل معنى الظروف وبعض معنى الفعل؛ والفعل ركن أساس في الجملة بخلاف ظرف الزمان التي تعد من الفضلات. وفضلا عن هذا الزمن في الفعل ينقسم إلى المضي أو الحالية أو الاستقبال، وهو ظاهرة تتوقف على الموقع والقرينة في السياق، ولكنه في الظرف كناية عن زمان اقتران حدثين.

في الحقيقة، الزمان في الظروف زمان تقويمي لعدم اقترانه بحدث ما. «الاسم لفظ يدل على معنى في نفسه ولا يتعرض ببنيته لزمان. فإن وجد من الأسماء ما يدل على زمان: كـ"أمس"، و"غد" فبذاته لا ببنيته؛ ألا ترى أن بنيتهما لا تتغير للزمان. فظروف الزمان وحدات معجمية تسهم في تحديد الدلالة الزمنية للعامل (الفعل أو ما ينوب عنه)، لكن الفعل ركن أساس في الجملة ولا يمكن الاستغناء عنه، بخلاف ظرف الزمان الذي تعد من الفضلات» (قواقزة، ٢٠٠٩م، ص ١٨).

أما الأسماء فليس الزمن جزءا من دلالتها؛ فإذا دل بعضها على زمان فإنه يدل عليه عن طريق التسمية. فالزمن هو مسمى الاسم: كـ"الليل والنهار" لتسمية الوقتين المذكورين أو عن طريق معاملته معاملة الظرف، مثل: "ليلا ونهارا"، حين يكون الوقتان وعاء لحدث ما.

الخاتمة

من خلال دراستنا في مجال الزمن في اللغة العربية، حصلنا على النتائج التالية:

ـ هناك فرق بين الزمن والزمان؛ فالزمان اسم لقليل الوقت أو كثيره ولا يرتبط بالحدث أبدا. وهذا ما نسميه الزمن التقويمي أو الزمن الفلكي، ويقابله في اللغة الإنجليزية (time)، بينما الزمن تعبير لغوي يتجلى في الأفعال خاصة، وله صلة وثيقة بالحدث، وهو أحد مدلولي الفعل، ويسميه النحاة الزمن اللغوي ويعادل (tense) في اللغة الإنجليزية. ينقسم الزمن إلى الزمن الصرفي والزمن النحوي.

ـ بنية الفعل، أي الحدث، والزمن، وجهان لعملة واحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر. ولكن في بعض الأحيان، لا يدل الفعل على الزمان ولا على الحدث. ولهذا، بإمكاننا أن نعترض على علماء النحو القدامى في تعريفهم للفعل بأن الفعل ما يدل على الحدث والزمن؛ لأن هذا التعريف لا يكون جامعا ولا يشتمل على دلالة الأفعال كلها؛ وذلك بسبب أنه ليس الزمان صورة فريدة مقصودة من الفعل دائما؛ لأن الفعل قد يدل على محض تمام الحدث أو عدم تمامه، بغض النظر عن إرادة الوقت الذي وقع فيه.

ـ لا نحتاج ـ في كثير من الأحيان ـ في بناء جملةٍ ما إلى المفهوم الدلالي الزمني، مثل الزمن الذي نريد به إثبات الحدث إلى الموصوف؛ فلهذا من العسير جدا أن نطلب من كل تركيب مقرون بالحدث، المعنى الزمني؛ أما من جانب آخر، فقسم من الأفعال، مثل: "كان" الناقصة وأخواتها، لا يدل على حدث البتة؛ والفعل المضارع أيضا لا يعرب عن الزمن، إذا أريد به التعبير عن حقيقة، نحو: "تدور الأرض حول الشمس"، و"كل حي يموت"؛ وكذلك في الجملة الاسمية التي يتكون طرفاها من اسمين وتنفرد فيها اللغة العربية؛ لأن الجملة في اللغات الأخرى لا يمكن أن تخلو من الفعل، وفعل الكون على الأقل يوجد في الجملة، إن لم يكن في الكلام غيره من الأفعال. والجملة الاسمية في اللغة العربية لا تحتوي على الزمن، فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند، ولا تشير إلى حدث ولا إلى زمن. وإذا أردنا أن نشير بالجملة الاسمية إلى الزمن، نأتي بالأدوات المنقولة عن الأفعال كالنواسخ.

ـ من جانب آخر هناك فرق بين دلالة الصيغ والتراكيب التي تعبر بها عن الزمان في العربية. فإن دلت كلمة بالمطابقة على الزمن فقط، فهي ظرف؛ بعبارة أخرى، الزمن يستفاد من الظرف بالمطابقة ومن الفعل بالتضمن. إن الظروف تدل على الزمان دون غيره من المفاهيم، بمعنى أن الظروف خلافا للأفعال هي أوقات مجردة من الحدث؛ وإذا حذفنا الظرف من الكلام تفهم الدلالة الزمنية من الكلام من نفس الفعل، دون أي مشكلة. ومن هنا يتبين لنا أن الزمان الذي تدل عليه الظروف زمان تقويمي ووعاء للحدث، فمثلا: جملة "أتيتك أمس" توضح للمخاطب أن الحدث قد وقع في الزمن الماضي، ولا حاجة إلى كلمة "أمس"؛ لأن هذه الدلالة الزمنية تفهم من الفعل.

ـ نظن أن الجملة الظرفية لا تدل دلالة زمنية دقيقة، إلا بما يصحبها من القرائن، فهي بدون القرائن لا تدل على التفاصيل الزمنية التي تتوفر للجملة الفعلية. أما الفعل فهو كلمة تضم دلالتي الحدث والزمن بمعنى أن الافعال تدل على الزمن بصيغتها دلالة وظيفية صرفية مطردة؛ وبهذا يختلف الفعل عن الصفة التي لا تتصل بمعنى الزمن إلا من خلال علاقات السياق، وكذلك الفرق بين الزمان في الصفة وزمان الظرف في أن زمان الظرف خاص بالظرف، وهو مفرد وأن زمن الصفة وظيفة لها في السياق دون الإفراد، أي ما ينسب إلى الصفة من معني الزمن لا يمكن أن ينسب إليها مفردةً خارج السياق؛ لأن معناها وهي مفردة هو الدلالة على الموصوف بالحدث. بتعبير أدق، صيغة الفاعل التي تصف من قام بالحدث تختلف عن صيغة المفعول التي تصف من وقع عليه الحدث.

***

المصادر والمراجع

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٣٤٨ه). ***لسان العرب***. بيروت: دار الإحياء التراث العربي.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (١٩٩٣م). ***شرح المفصل***. القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية.

جحفة، عبد المجيد. (٢٠٠٦م). ***دلالة الزمن في اللغة العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال***. الرباط: دار التوبقال للنشر والتوزيع.

الجوهري، إسماعيل ابن حماد. (١٩٩٠م). ***صحاح تاج اللغة وصحاح العربية***. ط ۴. بيروت: دار العلم للملايين.

الحاتمي، تماضر قائد راضي. (١۴٢٥ه). ***ألفاظ الزمن في القرآن الكريم: دراسة نحوية***. رسالة الماجستير. جامعة الكوفة. كلية تربية البنات.

حسام الدين، كريم زكي. (٢٠٠٢م). ***الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية***. ط ٢. القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر.

حسان، تمام. (١٩٩۴م). ***اللغة العربية معناها ومبناها***. الرباط: دار الثقافة.

حياة، حمزاوي. (٢٠١٥م). ***ألفاظ الزمن في ديوان محمد العيد آل خليفة: دراسة معجمية دلالية***. رسالة الماجستير. جامعة وهران. كلية الآداب والفنون.

رشيد، كمال. (٢٠٠٨م). ***الزمن النحوي في اللغة العربية***. ط ٣. عمان: دار عالم الثقافة.

الريحاني، محمد عبد الرحمن. (١٩٩۶م). ***اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية***. القاهرة: دار القباء للطباعة والنشر.

الزجاجي، أبو القاسم. (١٩٧٩م). ***الإيضاح في علل النحو***. دراسة وتحقيق مازن المبارك. ط ٣. بيروت: دار النفائس.

الزمخشري، محمود بن عمر. (٢٠٠۴م). ***المفصل في علم العربية***. دراسة وتحقيق فخر صالح قداره. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.

السامرائي، إبراهيم. (١٩٨٣م). ***الفعل زمانه وأبنيته***. ط ٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.

سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨م). ***الكتاب***. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ط ٣. القاهرة: مكتبة الخانجي.

السيد محمد، أحمد مجتبى. (٢٠١٥م). «مفهوم الزمن النحوي ودلالته بين القديم والحديث». ***مجلة جامعة سبها***. ج ١۴. ع ١. ص ٣٦ ـ ٥٢.

الشريدة، صفا شريف. (٢٠٠٢م). ***الدلالات الزمنية في كتاب سيبويه***. رسالة الماجستير. جامعة اليرموك. كلية الآداب.

الفراهيدي، خليل بن أحمد. (١۴١۴ه). ***العين***. دراسة وتحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. قم: باقرى.

قواقزة، محمد حسن بخيت. (٢٠٠٩م). ***نظام الزمن بين العربية والإنجليزية: دراسة تقابلية***. أطروحة الدكتوراه. جامعة اليرموك. كلية الآداب.

المخزومي، مهدي. (١٩٨۶م). ***في النحو العربي: نقد وتوجيه***. ط ٣. بيروت: دار الرائد العربي.

المطلبي، مالك يوسف. (١٩٨۶م). ***الزمن واللغة***. ط ٣. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الملاخ، محمد. (٢٠٠٩م). ***الزمن في اللغة العربية: بنيانه التركيبية والدلالية***. الرباط: الاختلاف.

ميزاب، أسمهان. (٢٠١٤م). ***الزمن النحوي ودلالته: دراسة تطبيقية في ديوان أبي فراس الحمداني***. أطروحة الدكتوراه. جامعة جاح الخضر. كلية الآداب واللغات.

ويسی‌حصار، رحمان. (١٣٩٤هـ.ش).«الزمن والجهة في اللغة الكردية». ***مجلة اللغات واللهجات في غربي إيران***. ع ٨. ص ١٠١ - ١٢٤.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی